مناقشة نقد الوهابية لروايات فضائل النبي صلى الله عليه وآله

* سید حکمت موسوی

* دانش‌آموخته حوزه و سطح ۴ جامعة المصطفى العالمية.

◆ **المقدمة**

لم يقتصر نقد الوهابية على المذاهب الإسلاميّة الأخرى فحسب، بل تعدّى ذلك إلى إنكار أغلب فضائل النبي محمّد صلى الله عليه وآله ومزاياه العظيمة التي نطق بها صريح القرآن الكريم والسنّة الشريفة والتي هي من المسلّمات عند كافّة المسلمين والمتّفق عليها بين جميع أهل المذاهب الإسلاميّة؛ بذريعة أنّه صلى الله عليه وآله شخص عادي لا يتميّز على غيره من البشر وأنّ إثبات الكثير من تلك الفضائل له صلى الله عليه وآله يستلزم الشرك بالله تعالى!

و مسألة الطعن في فضائل ومناقب النبي صلى الله عليه وآله، من المسائل الخطيرة التي واجهت المسلمين في التاريخ المعاصر؛ لأنّها حالة يمكن أن تتنامى وتتطوّر لتتحوّل إلى حالة فكريّة ثابتة وعقيدة متسالم عليها لا تقبل النقاش، فيحصل المحذور في الاستهانة بالدين ومقدّساته، ما لم يتصدّ جميع المسلمين لهذه الحالة الخطيرة بمسؤوليّة وحزم؛ فالرسول صلى الله عليه وآله هو أقدس مخلوق خلقه الله تعالى على الإطلاق، وهو طريق الوحي الإلهي وأمين الله وحجّته على الناس أجمعين، قال تعالى ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ**﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ**

---

١. سورة سبأ، الآية ٢٨.

﴿ٱلْهَوَىٰٓ ۝إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1] فكلّ ما يمسّ النبي ﷺ بسوء سوف يلقي بتبعاته على المسلمين أنفسهم قبل غيرهم.

فالوهّابيون يرفضون بشكل تامّ أيّ شكل من أشكال القدرة لأيّ أحد من الخلق، والحال أنّ القرآن الكريم مشحون بالآيات الناطقة بفضائل الأنبياء والأولياء من الخوارق والقدرات والهبات الإلهيّة، حيث إنّ هناك الكثير من الآيات ما يقتضي ظاهرها صدور الفعل من العباد بما فيهم الأنبياء عليهم السلام - ينفي ما ذهبوا إليه جملةً وتفصيلاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾[3] وقوله أيضاً: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾[4] أضف إلى ذلك إجماع المسلمين على فضائل النبي ﷺ والأولياء الصالحين، ممّا يشير إلى سطحية هذه الفرقة ومخالفتها لاتفاق المسلمين أجمع.

أشرنا في هذا البحث إلى بعض انتقادات الوهّابية لروايات فضائل النبي ﷺ مع ردّ لما وقعوا فيه من أخطاء، وقسّمنا انتقاداتهم إلى جوانب ثلاثة: الجانب المعرفي والجانب الشخصي والجانب الغيبي.

١. سورة النجم، الآيات ٣-٤.
٢. سورة النساء، الآية ٥.
٣. سورة التوبه، الآية ٧٤.
٤. سورة التوبه، الآية ٥٩.

◆ **نقد روايات الفضائل في الجانب المعرفي**

إنّ من أسّس اختيار الرسول أو الممثّل عن المرسِل كونه ـ بعد الوثوق به ـ عالماً واعياً بما أُرسل به وأن يمتلك صفات معرفية تمكّنه من إيصال الرسالة بالشكل المطلوب.

ونلمس هذا واضحاً في التعامل الإلهي مع العظماء من أنبيائه عليهم السلام. فنرى أن الأمر يتمّ وفق شروط وقوانين صارمة، ويتمّ طبق علمه وحكمته تعالى، وإلا فسيفضي الأمر إلى لزوم اللّهو واللّعب أو الغفلة وهو ممنوع في أفعال الحكيم عقلاً، و وردت الإشارة إلى ذلك في الشرع كثيراً؛ كقوله تعالى: ﴿**لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ**﴾[1] وذمّه تعالى للذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، حيث قال جلّ جلاله: ﴿**ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾[2] وقال سبحانه في نفي الغفلة عنه بقوله: ﴿**وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ**﴾.[3]

ومن جانب آخر، فإنّ الاختيار الإلهي لشخص معيّن لا يمكن قياسه بأفعال الناس المشوبة غالباً بالأخطاء الكثيرة والمخالفة للمصلحة، فالنبي صلى الله عليه وآله ليس شخصاً عاديّاً، بل هو محلّ الفيض والعلم الإلهي. قال تعالى في النبي صلى الله عليه وآله: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ**﴾[4] وقال تعالى أيضاً: ﴿**سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ**﴾.[5]

---

١. سورة الانبياء، الآية ١٧.

٢. سورة الأعراف، الآية ٥١.

٣. سورة المومنون، الآية ١٧.

٤. سورة النجم، الآيات ٣-٤.

٥. سورة الأسراء، الآية ١.

ومن جانب ثالث، فإنّ طبيعة الرسالة ـ الدين الإسلامي ـ تحتمّ اختيار مبلّغ معصوم لا يتطرّق الخطأ إلى أقواله وأفعاله لئلّا يتطرّق الفساد إلى التبليغ فيسري النقص إلى التعاليم الإسلاميّة حينئذٍ؛ لأنّها رسالة عالمية وخاتمة للشرائع السابقة وباقية ما بقي الدهر. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1] وقال سبحانه أيضاً: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.[2]

◆ **نفي الوهابيّة عصمة النبيّ ﷺ**

فمن تلك الفضائل التي أنكرتها الوهّابية في الجانب المعرفي للنبي ﷺ عصمته ﷺ.

قال ابن تيمية في معرض كلامه عن النبي ﷺ:

وقد قال الله تعالى لنبيه بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ فأخبر أنه فعل هذا ليهديه صراط مستقيماً فإذا كان هذا حاله فكيف بحال غيره.[3]

◆ **الجواب**

١. نلاحظ بشكل واضح أنّ ابن تيمية يطرح رأيه هنا باستهانة كبيرة لمقام النبي ﷺ خصوصاً مع قوله: «فإذا كان هذا حاله فكيف بحال غيره»، وهو من المؤاخذات التي لا يمكن فيها المغفرة والصفح، فالحديث عن شخصية ليست عادية، بل شخصية اختارها

---

١. سورة آل عمران، الآية١٩.

٢. سورة آل عمران، الآية ٨٥.

٣. *مجموع الفتاوى*، ج٢٢، ص٤٠١. كما أشار إلى ذلك بإسناد الذنب إلى النبي ﷺ في *منهاج السنة النبوية*، ج٦، ص٢١٠، و *الفتاوى الكبرى*، ج٢، ص٣٣٧، وتبعه ابن القيم في ذلك: *شفاء العليل*، ج١، ص٢٢٣.

الله طبقاً لعلمه وحكمته لهداية الخلق إلى الطريق المستقيم، والإخلال بالأدب في هذا الموضع يساوق الإخلال بالدين.

٢. إنّه يظنّ أنّ النبي ﷺ لم يُهدَ للصراط المستقيم والمغفرة إلّا حين الفتح! مستدلاً ـ خطأً ـ بقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾،[1] حيث إنّ الآية لا تنفي وجود أصل الاستقامة قبل الفتح، ولم تصرّح بوجود معصية للنبي ﷺ، كيف! والله تعالى يقول في حقّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] وهو نظير قوله تعالى في موسى عليه السلام: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾؛[3] أي: بقتلي رجلاً منهم؛[4] أي: القصاص بقتل القبطي، و واضح أنّ المراد بالذنب هنا الذنب الذي هم يؤاخذون عليه موسى عليه السلام، فاللازم تفسير الذنب بمعنىً يناسب مقام النبوّة من هداية الناس إلى الطريق المستقيم، قال القرطبي:

> و قال عطاء الخراساني: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾؛ يعنى من ذنب أبويك آدم وحواء، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ من ذنوب أمتك. وقيل: من ذنب أبيك إبراهيم. ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ من ذنوب النبيين ... . وقال أبو علي الروذباري: يقول لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك.[5]

ونسبة المعصية لشخصيّة كالنبي ﷺ تحتاج إلى دليل لم يذكره ابن تيمية. و من أقوال علماء السنة في هذا الشأن:

---

١. سورة الفتح، الآية ٢.

٢. سورة الشورى، الآية ٥٢.

٣. سورة الشعراء، الآية ١٤.

٤. *معاني القرآن*، ج٥، ص٦٧.

٥. *تفسير القرطبي*، ج١٦، ص٢٦٣.

أ) ابن جرير الطبري: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ يقول: ويرشدك طريقك من الدين لا اعوجاج فيه، يستقيم بك إلى رضا ربّك».[1]

ب) الثعلبي: «﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، أي ويثبتك عليه، وقيل: يهدي بك».[2]

ج) الرازي: «﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ يحتمل وجوهاً أظهرها: يديمك على الصراط المستقيم حتّى لا يبقى من يلتفت إلى قوله من المضلين، أو ممن يقدر على الإكراه على الكفر».[3]

د) البيضاوي: «﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرئاسة».[4]

هـ) ابن كثير: «﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم».[5]

و) الآلوسي: «﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ في تبليغ الرسالة و إقامة الحدود، قيل: إنّ أصل الاستقامة و إن كان حاصلاً قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحقّ واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلاً قبل».[6]

١. *جامع البيان*، ج٢٦، ص٩٤.
٢. *تفسير الثعلبي*، ج٩، ص٤٢. ونحوه في زاد المسير، ج٧، ص١٥٩.
٣. *تفسير الرازي*، ج٢٨، ٧٨.
٤. تفسير البيضاوي، ج٥، ص٢٠٠.
٥. *تفسير ابن كثير*، ج٤، ص١٩٨.
٦. *تفسير الآلوسي*، ج٢٦، ص٩١.

فكلام ابن‌تيمية هذا في منتهى الخطورة ويدلّ على الضلال و الانحراف عن الإسلام، «و من هنا يُعلم بعض أسباب حكم العلاء البخاري وغيره على ابن‌تيمية بالكفر ولماذا قال فيه التقي الحصني نقيب أشراف الشام: في قلبه ضغينة لرسول الله ﷺ».[1]

◆ انكار تمييز رسول الله ﷺ بين أهل الحقّ وأهل الباطل

قال ابن‌تيمية في معرض ردّه على قول النبي ﷺ في حقّ الإمام على بن أبي طالب عليه السلام بأنّه فاروق هذه الأمّة يفرق بين أهل الحقّ و الباطل وقول ابن‌عمر: ما كنا نعرف المنافقين على عهد النبي ﷺ إلا ببغضهم علّياً عليه السلام، متهماً النبي ﷺ بعدم التمييز بين أهل الحقّ والباطل، فقال:

> يعلم بالدليل أنّه كذب لا يجوز نسبته إلى النبي ﷺ فإنّه يقال ما المعنى بكون علي أو غيره فاروق الأمّة يفرق بين الحقّ والباطل إن عنى بذلك أنّه يميز بين أهل الحق وأهل الباطل فيميز بين المؤمنين والمنافقين فهذا أمر لا يقدر عليه أحد من البشر لا نبي ولا غيره وقد قال تعالى لنبّيه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ فإذا كان النبي ﷺ لا يعلم عين كلّ منافق في مدينته وفيما حولها فكيف يعلم ذلك غيره.[2]

١. *أخطاء ابن‌تيمية في حق رسول الله وأهل بيته عليهم السلام*، ص٤١٠.

٢. *منهاج السنّة*، ج٤، ص٢٩٠.

◆ **الجواب**

١. كلام ابن‌تيمية هنا واضح في التعريض بالنبي ﷺ في القدح بعلمه وقدرته على تمييز أهل الحقّ عن أهل الباطل ـ مع استهانته الصريحة بخصوص أمير المؤمنين عليه السلام ممّا يشعر أنّ اتهام النبي ﷺ هو لأجل إثباته فضيلة للإمام علي عليه السلام ـ مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[1] وهو استدلال خاطئ؛ لأنّ معنى ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ في الآية ليس كما ذهب إليه ابن تيمية، فلم يقل الله عزّ وجلّ أنّه لن يعلم النبي ﷺ بهم، وواضح أنّ الآية بصدد الكلام عن أنّ علم النبي ﷺ مصدره من قبل الله تعالى لا غير.

قال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: لا تعلمهم أنت حتّى نعلمك بهم. والثاني: لا تعلم عواقبهم».[2]

وفي تفسير الجلالين: «﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ بالفضيحة أو القتل في الدنيا وعذاب القبر».[3]

◆ **ردّ قول ابن تيمية في السنّة**

السنة الشريفة التي ترد قول ابن‌تيمية:

أ) أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلّى لهم صلاة الظهر فلمّا سلّم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن قبلها أموراً عظاماً ثّم كان من جملة ما قال: «والذي نفس محمّد بيده لقد عرضت عليّ الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر».[4]

---

١. سورة التوبه، الآية ١٠١.

٢. *زاد المسير*، ج٣، ص٣٣٤.

٣. *تفسير الجلالين*، ص٢٥٨.

٤. *صحيح مسلم*، ج٧، ص٩٣؛ *صحيح ابن حبان*، ج١، ص٣١٠؛ *دلائل النبوة*، ج٢، ٦٨٠.

ب) وأخرج مسلم أيضاً عن أبي ذر (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال:

عرضت عليّ أعمال أمّتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذي يماط عن الطريق ووجدت في مساوي أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن.[1]

ج) في *مسند* أحمد قال:

عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده كتابان فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ قال: قلنا لا إلّا أن تخبرنا يا رسول الله؟ قال: للّذي في يده اليمنى هذا كتاب من ربّ العالمين تبارك وتعالى بأسمائك أهل الجّنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثمّ أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ثمّ قال للّذي في يساره هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثمّ أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً.[2]

◆ نقد روايات الفضائل في الجانب الشخصي

حقّ احترامه ﷺ في ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام

و في تجاوز واضح على النبي ﷺ وقرابته، يكذّب ابن تيمية فضائل أهل البيت عليهم السلام، ويرفض ما آتاهم الله من فضله، يقول في *منهاجه* ردّاً على العلامة الحلّي قدس سره

١. صحيح *مسلم*، ج٢، ص٧٧؛ *السنن الكبرى*، ج٢، ص٢٩١.

٢. *مسند ابن حنبل*، ج٢، ص١٦٧؛ *سنن الترمذي*، ج٣، ص٣٠٤ - ٣٠٥.

وأما قوله ورووا جميعاً أن النبي ﷺ قال: «يا فاطمة إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» فهذا كذب منه ما رووا هذا عن النبي ﷺ ولا يعرف هذا في شيء من كتب الحديث المعروفة ولا له إسناد معروف عن النبي ﷺ لا صحيح ولا حسن... .[1]

◆ **الجواب**

ادّعاء ابن‌تيمية هذا بأنّ حديث فاطمة عليها السلام لم تروِه كتب الأحاديث المعروفة و ليس له إسناد صحيح ولا حسن، واضح البطلان، فقد روته الكثير من الكتب السنيّة المعتبرة بأسانيد صحاح، فكيف يدّعي كذب ما رواه علماء الحديث وتلقوه بالقبول؟! وهاكَ الأحاديث التي تنقض كلام ابن‌تيمية حرفاً حرفاً:

أخرج الحديث الحاكم النيسابوري مصرّحاً بصحّته فقال:

(حدثنا) أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن علي بن عفان العامري (وأخبرنا) محمّد بن علي بن دحيم بالكوفة ثنا أحمد بن حاتم بن أبي غرزة (قالا) ثنا عبد الله محمّد بن سالم ثنا حسين بن زيد بن علي عن عمر بن على عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ لفاطمة: إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.[2]

وحسّنه الهيثمي في *مجمع الزوائد* قائلاً: «وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. رواه الطبراني واسناده حسن».[3]

---

١. *منهاج السنّة النبوّية*، ج٤، ص٢٤٨-٢٤٩.

٢. *المستدرك على الصحيحين*، ج٣، ص١٥٤.

٣. *مجمع الزوائد*، ج٩، ص٢٠٣.

وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في *الآحاد والمثاني*،[1] والطبراني في *الكبير*.[2]

وهو يوافق ما رواه *البخاري ومسلم* في أكثر من موضع عن المسور بن مخرمة عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال في حديث: «فإنّما هي (أي: فاطمة عليها السلام) بضعةٌ مني، يُريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها»[3] كما رواه غيرهما.

◆ حقّ احترامه صلى الله عليه وآله في ابنيه؛ سيّدي شباب أهل الجنّة عليهما السلام

وفي مسلسل تنقيص ابن تيمية النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام، قال في منهاجه:

> وأمّا سائر الإثني عشر فهم أصناف منهم من هو من الصحابة المشهود لهم بالجنّة كالحسن والحسين وقد شركهم في ذلك من الصحابة المشهود لهم بالجنّة خلق كثير وفي السابقين الأوّلين من هو أفضل منهما مثل أهل بدر وهما (رضي الله عنهما) وإن كانا سيّدا شباب أهل الجنة فأبوبكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنة وهذا الصنف أكمل من ذلك الصنف، وإذا قال القائل هما ولد بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قيل: وعلي بن أبي طالب أفضل منهما باتفاق أهل السنّة والشيعة، وليس هو ولد بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وإبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله أقرب إليه منهما وليس هو أفضل من السابقين الأوّلين.[4]

---

١. *الآحاد والمثاني*، ج٥، ص٣٦٣.

٢. *المعجم الكبير*، ج١، ص١٠٨؛ ج٢٢، ص٤٠١.

٣. صحيح *البخاري*، كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته، ح٥٢٣٠؛ صحيح *مسلم*، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة عليها السلام، ح٢٤٤٩.

٤. *منهاج السنة النبوية*، ج٤، ص١٦٨-١٦٩.

◆ **الجواب**

إنّ ههنا ملاحظات:

١. عدم تأدّب ابن تيمية في الحديث عن أصحاب الرسول من ولده المشهود لهم بالفضل، وفي هذا إشارة واضحة إلى حقيقة بغض ابن‌تيمية تجاه ابني الرسول صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام اللذين شهد لهما القاصي والداني بالفضل وسموّ المنزلة عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وفيه الانتقاص من حكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله في فضل الحسن والحسين عليهما السلام، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة». وأقرّ ابن‌تيمية بصحّة هذا الحديث كما ورد في قوله أعلاه.

٢. ليس في الجنّة كهول وشيوخ وما إليهما، فالجنّة لا يدخلها العجائز، بل إنّ أهل الجنّة جرد مرد مكحلون كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله،[1] هذا من جانب، ومن جانب آخر إنّ الكهولة وكبر السنّ وما إليهما أمر محصور في الحياة الدنيويّة، ووصف أهل الجنّة بذلك ينافي كونها دار نعيم لا تعب فيها ولا نصب، خصوصاً وأنّ أهل الجنة لهم ما يشاؤون عند ربهم. قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَٰتِ ٱلۡجَنَّٰتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ**﴾.[2] فلهم أن يطلبوا من الله تعالى أن يكونوا شباباً كما هو رغبة كلّ إنسان. قال الإسكافي: «قوله: "سيّدا شباب أهل الجنة" أدلّ على

---

١. *المبسوط*، ج٣٠، ص٢١٢. وقال الزيلعي في *تخريج الآثار*، ج٣، ص٤٠٧ «رواه الثعلبي و ذكر أن ابن الجوزي رواه في كتاب الوفاء ... وذكر أنّ البيهقي روى نحوه في البعث والنشور، وأضاف: ورواه الطبري في معجمه الأوسط، وساق الحديث». واستدل به الزمخشري في *الكشاف عن حقائق التنزيل والتأويل*، ج٤، ص٥٤ في تفسير الآية ﴿**إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ**﴾ (سورة الواقعة، الآية ٣٥) وقطع به عن الرسول صلى الله عليه وآله ابن الجوزي في *زاد المسير*، ج٥، ص٢٥١، في تفسير الآية الكريمة أعلاه. ورواه ابن خلكان عن عائشة في *وفيات الأعيان*، ج٣، ص١٧.

٢. سورة الشورى، الآية ٢٢.

التفضيل وأوفى بالعموم ممّا يدخله الطعن عند القياس، واحتجّتم في تصحيحه إلى استعمال التأويل».[1]

نعم، هما سيّدا شباب أهل الجنّة إلاّ النبي صلى الله عليه وآله سيّد الخلق أجمعين و أمير المؤمنين عليه السلام كما هو واضح. قال النبي صلى الله عليه وآله :«الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما».[2] فكلّ من لم يأتِ فيه نصّ من النبي صلى الله عليه وآله بأفضليّته عليهما فالحسن والحسين سيدان له، شاء ابن تيمية أم أبى. قال في المعيار والموازنة في الحديث الشريف أعلاه:«واستثناؤه أباهما ـ أي: عليّاً عليه السلام ـ يوجب أنّ الخبر عامّ ولو أراد به الخصوص لم يكن للاستثناء معنى».[3]

ومنه يظهر فساد قوله: «وفي السابقين الأوّلين من هو أفضل منهما مثل أهل بدر». فلا دليل عليه إلاّ ما ورد في أنّ أهل بدر مغفور لهم، وعلى فرض صحتّه، فلا يدلّ على المُدّعى، فكونهم مغفوراً لهم لا يدل على كونهم أفضل من سيّدي شباب أهل الجنة، فالمغفرة شيء والأفضليّة شيء آخر، والحكم بالأفضليّة يحتاج إلى دليل عجز ابن تيمية عن الإتيان به كعادته.

◆ التنقيص من شأن النبيّ صلى الله عليه وآله بالقدح في طهارة أهل البيت عليهم السلام

قال ابن تيمية في *منهاجه*:

> إن الله تعالى لم يخبر أنّه طهّر جميع أهل البيت وأذهب عنهم الرجس، فإنّ هذا كذب على الله، كيف ونحن نعلم أن في بني هاشم من ليس بمطهّر من الذنوب ولا أذهب عنهم الرجس.[4]

---

١. *المعيار والموازنة*، ص٢٠٧.

٢. *المعجم الكبير*، ج٣، ص٣٩، ٢٦١٧، و نحوه ص٥٨ و٢٩٨؛ *تاريخ مدينة دمشق*، ج١٣، ٢٠٨ و٢٠٩؛ *مجمع الزوائد*، ج٩، ص١٨٣؛ و *الجامع الصغير*، ج١، ص٥٩٠.

٣. *المعيار والموازنة*، ص٢٠٧.

٤. *منهاج السنّة النبويّة*، ج٤، ص٢٥٩.

◆ **الجواب**

١. إنّ منطق ابن تيمية وأسلوبه هذا لم يسبقه إليه أحد من السابقين، فلم يقل أحد بطهارة جميع بني هاشم! حيث يستفاد من آية التطهير ومن القرائن الحافّة بها أنّ المراد بأهل البيت عليهم السلام خصوص جماعة معيّنة من قرابة النبي صلى الله عليه وآله لا جميع بني هاشم؛ فإنّ أهل البيت عليهم السلام مطهّرون بنصّ الآية الكريمة: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1] واكتفى بمجرّد الادّعاء العاري عن دليل يعضده سوى التعريض بجميع المسلمين.

وقد خلط في كلامه بين مفهومين؛ أهل البيت عليهم السلام و بني هاشم، فليس كلّ هاشمي هو من أهل البيت عليهم السلام حتّى نقول بما أن ليس كلّ هاشميّ مُطهَّر من الذنوب، إذن، ليس كلّ أهل البيت مطهّرون!

٢. يتّضح من قول ابن تيمية تجاهل سيرة وآداب جميع علماء الأمّة الذين كانوا يفتتحون كتبهم ويختمونها بقولهم بعد صلاتهم على النبي صلى الله عليه وآله : وعلى أهل بيته الطاهرين، أو الأطهار، أو الذين طهّرهم الله تطهيراً، وهذه الصيغة موجودة بكثرة في كتب العلماء قديماً وحديثاً، وهو واضح لمن لديه أدنى إلمام في كتب العلماء ومن أحبّ أهل البيت عليهم السلام وتأسّى بالنبي صلى الله عليه وآله . ونقول: بعد كلّ هذا هل يصدق على ابن تيمية أنّه محبّ لأهل البيت؟! أم يصدق عليه أنه مبغض لهم وحاقد عليهم؟![2]

٣. ادّعى ابن تيمية أنّ الله تعالى لم يخبر أنّه طهّر جميع أهل البيت وأذهب عنهم الرجس وأنّ هذا كذب! في حال أنّ العلماء رووا ما يدحض قول ابن تيمية، ومنهم:

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

٢. *انظر أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته*، ص١٤٦.

روى الطبراني في المعجم الكبير:

حدثنا محمود بن محمد الواسطي ثنا وهب بن بقية أنا خالد عن حصين عن أبي جميلة أنّ الحسن بن علي عليه السلام حين قتل علي عليه السلام استخلف فبينما هو يصلّي بالناس؛ إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر في وركه فتمرض منها أشهراً ثمّ قام على المنبر يخطب فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا، فإنّا أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل البيت الذي قال الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فما زال يومئذٍ يتكلّم حتّى ما يرى في المسجد إلاّ باكياً.[1]

قال الهيثمي:«ورجاله ثقات».[2]

وعن أبي الطفيل في حديث طويل قال:

خطبنا الحسن بن على بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ... ثمّ قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، وأنا ابن النبي، أنا ابن الدّاعي إلى الله باذنه، وأنا ابن السراج المنير، وانا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.[3]

وحسّن الهيثمي في المجمع بعض طرقه.[4]

ورواه و الحاكم والدولابي في الذرية الطاهرة عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام.[1]

---

١. *المعجم الكبير*، ج٣، ص٩٣، ح٢٧٦١.

٢. *مجمع الزوائد*، ج٩، ص١٧٢.

٣. نفس المصدر، ج٩، ص١٤٦.

٤. نفس المصدر.

و في الحديث الذي صححه ابن حبان، وروى نحوه الذهبي وحسّنه[2]، أنّ النبي ﷺ :

أجلس فاطمة عن يمينه وعلياً عن يساره وحسناً وحسيناً بين يديه وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ اللّهمّ هؤلاء أهلي.[3]

٤. إنّ دعاء النبي ﷺ مستجاب بلا ريب فيكون دعاؤه في حقّ أهل بيته مستجاباً.

أخرج أحمد بن حنبل في *مسنده* قال:

ثنا عبد الله بن نمير قال ثنا عبد الملك يعنى ابن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح قال حدثني من سمع أم سلمة تذكر أنّ النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت لها عليه. فقال لها: ادّعى زوجك وابنيك، قالت: فجاء علي والحسين والحسن فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيبري قالت: وأنا أصلّي في الحجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قالت: فأخذ فضلّ الكساء فغشّاهم به ثمّ أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي

١. *المستدرك*، ج٣، ص١٧٢؛ *الذرية الطاهرة النبوية*، ص١١٠.

٢. *سير أعلام النبلاء*، ج٣، ص٣٨٥.

٣. *صحيح ابن حبان*، ج١٥، ص٤٣٢-٤٣٣.

وخاصّتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً! اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً![1]

وأقرّ بهذا ابن تيمية نفسه في محلّ آخر من *منهاجه* فقال:

فإن قيل: فهب أن القرآن لا يدل على وقوع ما أريد من التطهير و إذهاب الرجس لكن دعاء النبي صلى الله عليه وآله لهم بذلك يدل على وقوعه فإن دعاءه مستجاب قيل: المقصود إن القرآن لا يدل ما ادعاه من ثبوت الطهارة و إذهاب الرجس فضلاً عن ان يدل على العصمة والإمامة.[2]

ولازم كلام ابن‌تيمية هذا أن يقبل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله في حقّ أهل بيته عليهم السلام بالطهارة وإذهاب الرجس، وإن لم يقبل بشهادة القرآن وأنكرها؛

كما أنّ المعروف عن ابن‌تيمية أنّه لم يترك حديثاً في مناقب أهل البيت عليهم السلام إلاّ وعلّق عليه بتضعيف أو تشكيك فيه، إلاّ أنّنا لم نقف على ذلك بخصوص هذا الحديث، وهذا يشير إلى عدم وجود ما يضعّفه أو يسمح له في التشكيك فيه، مضافاً إلى أنّ هذا الحديث مرويّ عند أهل السنّة وقد صحّحوه، كما ورد أعلاه.

---

١. *مسند ابن حنبل*، ج٦، ص٢٩٢؛ وقال الترمذي في *سننه*، ج٥، ص٣٦١ «حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا أبو أحمد الزبيري، أخبرنا سفيان عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أنّ النبي صلى الله عليه وآله جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثمّ قال: اللّهمّ هؤلاء أهل‌بيتي وحامتي؛ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أمّ سلمة: وأنّا معهم يا رسول الله؟ قال، إنّك على خير. هذا حديث حسن صحيح. وهو أحسن شيء روى في هذا الباب»؛ وانظر أيضاً *المستدرك للحاكم النيسابوري*، ج٢، ص٤١٦.

٢. *منهاج السنة النبوية*، ج٧، ص٧٩.

◆ *ادعاء أنّ قرابة النبي صلى الله عليه وآله ونسبه لا يفيد ولا ينفع*

قال ابن تيمية في *منهاجه*:

> ولهذا كان أفضل الخلق أولياؤه المتّقون، وأمّا أقاربه ففيهم المؤمن والكافر والبرّ و الفاجر، فإن كان فاضلاً منهم كعلي رضي الله عنه وجعفر والحسن والحسين فتفضيلهم بما فيهم من الإيمان و التقوى وهم أولياؤه بهذا الاعتبار لا بمجرّد النسب، فأولياؤه أعظم درجة من آله.[1]

◆ **الجواب**

١. نلاحظ أنّ ابن تيمية جاء بمفهوم الإيمان في مقابل آل محمّد صلى الله عليه وآله وهي مغالطة واضحة؛ لأنّ آله صلى الله عليه وآله كلّهم أولياء الله تعالى، وهل فيهم غير ذلك؟! فالسيّدة فاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسيّدة نساء أهل الجنة، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما، وكلّ ذلك ثابت في الأحاديث الصحيحة عند أهل السنّة والجماعة، كما سبق ذكره.

٢. صرّح القرآن الكريم بجدوى قرابة الرسول صلى الله عليه وآله ومدى الاهتمام الذي أولاه الله تعالى لآل النبي وقرابته بجعل أجر النبوّة مودّتهم وأداء حقّهم؛ كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿**قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ**﴾.[2]

> ومن النصوص التي لا تقبل التأويل ما ورد في صحيح البخاري أنّ النبي صلى الله عليه وآله أوصى بكيفيّة الصلاة عليه وعلى آل البيت عليهم السلام بقوله:

---

١. نفس المصدر، ص٧٨.

٢. سورة الشورى، الآية ٢٣.

قولوا اللّهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد؛ كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد. اللّهم بارك على محمّد وعلى آل محمّد؛ كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد.[1]

وفي الحديث الصحيح أيضاً أنّ رسول الله ﷺ قال: «كلّ نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي». قال الحاكم:«هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».[2]

وعن عُمر بن الخطاب يقول: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي».[3] قال الهيثمي:«رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».[4]

◆ ***الطعن في مؤاخاة النبي ﷺ لعلي عليه السلام***

قال ابن تيمية في *منهاجه*:

إنّ أحاديث المؤاخاة لعلي كلّها موضوعة والنبي ﷺ لم يؤاخ أحداً ولا آخى بين مهاجر ومهاجر ولا بين أبي بكر وعمر ولا بين أنصاري، و أنصاري، ولكن آخى بين المهاجرين والأنصار في أول قدومه المدينة.[5]

---

١. *صحيح البخاري*، ج٤، ص١١٩.

٢. *المستدرك*، ج٣، ص١٤٢.

٣. *مجمع الزوائد*، ج٤، ص٢٧٢.

٤. *نفس المصدر*.

٥. *منهاج السنّة النبويّة*، ج٧، ص٣٦١.

◆ **الجواب**

إنّ قضية مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام هي من الثوابت التأريخية التي لا يمكن الطعن فيها بوجهٍ من الوجوه، وهو ما رواه أهل السنة أنفسهم، ويبدو أن ابن‌تيمية قد اعتاد تكذيب كلّ شيء لا يناسب ذوقه وميوله صحيحاً كان أم غير ذلك.

وقد روى أحمد بن حنبل إمام ابن تيمية، في *مسنده* عن ابن عباس أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام في حديث: «أنت أخي وصاحبي»،[1] وروى أيضاً أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «أنت أخي وأنا أخوك»،[2] وروى حديث المؤاخاة جمع كثير.[3]

وكيف يقطع بأنّ أحاديث المؤاخاة كلّها موضوعة، في حال أنّ ابن‌حنبل قد روى حديث المؤاخاة في مسنده وقد أقرّ ابن‌تيمية نفسه بأنّ أحمد بن حنبل لا يروي الموضوع! قال ابن‌تيمية:

> وكان أحمد (رحمه الله) على ما تدلّ عليه طريقته في المسند إذا رأى أنّ الحديث موضوع، أو قريب من الموضوع، لم يحدّث به، ولذلك ضرب على أحاديث الرجال فلم يحدّث بها في المسند؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: من حدّث عنّي بحديث وهو يرى أنّه كذب فهو أحد الكاذبين.[4]

---

١. *مسند ابن حنبل*، ج١، ص٢٣٠.

٢. *فضائل الصحابة*، ج٢، ص٥٩٧، ح١٠١٩، ص٦١٧، ح١٠٥٥.

٣. انظر *السنن الكبرى*، ج٥، ص١٢٥، ح٨٤٥١؛ *المعجم الكبير*، ج١٢، ص٤٢٠، ح١٣٥٤٩؛ *مجمع الزوائد*، ج٩، ص١٢١ و ١٢٢؛ *مسند أبي يعلى*، ج١، ص٤٠٢، ح٥٢٨؛ *المستدرك*، ج٣، ص١٥، ح٤٢٨٨، ص١٦، ح٤٢٨٩؛ *سنن الترمذي*، ج٥، ص٦٣٦، ح٣٧٢٠؛ وغيرهم.

٤. *اقتضاء الصراط المستقيم*، ص٣٢٦.

◆ **نقد روايات الفضائل في الجانب الغيبي**

نبوّته ﷺ

قال ابن‌تيمية في مجموع الفتاوى:

و لهذا يغلط كثير من الناس في قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذى رواه ميسرة قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ وفي رواية متى كتبت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح و الجسد. فيظنون أنّ ذاته و نبوته وجدت حينئذٍ وهذا جهل؛ فإن الله إنّما نبأه على رأس أربعين من عمره وقد قال له: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[1] و قال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ وفي *الصحيحين*: أنّ الملك قال له ـ حين جاءه ـ اقرأ، فقال: لست بقارئ ثلاث مرات.[2]

و قال ابن‌القيم:

ومحمد ﷺ لم يكن يعلم قبل الوحي شيئاً ألبتّة كما قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[3]

---

١. *هذا المثبت في المصدر*، أمّا الآية الكريمة فهكذا: ﴿... بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ (سورة يوسف: الآية ٣).

٢. *مجموع الفتاوى*، ج٨، ص٢٨٢.

٣. *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى*، ج١، ص٦٠؛ وأكّد على ذلك في *الصواعق المرسلة*، ج٢، ص٧٣٤.

◆ **الجواب**

أنّ كلام ابن تيمية وابن قيم الجوزيّة هذا يشير إلى نفي العلم والإيمان عن النبي ﷺ قبل الوحي، في حال أنّ النبي ﷺ كان يعلم بأنّه نبي وهو في سنّ قبل البعثة، وكان ﷺ يسمع كلام الأحجار وهي تسلّم عليه بالنبوّة، والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة، ومنها:

في صحيح مسلم عن أنس بن مالك:

> أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثمّ غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثمّ لامه ثمّ أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا: إنّ محمّداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره.[1]

وأخرج مسلم في صحيحه أيضاً وغيره عن جابر بن سمرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث إنّي لأعرفه الآن».[2]

◆ **ذكره ﷺ في العبادات والأدعيّة**

قال ابن تيمية في *منهاجه*: «والفقهاء متنازعون في وجوب الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة وجمهورهم لا يوجبها ومن أوجبها يوجب الصلاة عليه دون آله».[3] وأكد ذلك

---

١. *صحيح مسلم*، ج١، ص١٠١-١٠٢؛ وما في معناه *مسند ابن حنبل*، ج٤، ص١٨٥؛ *مجمع الزوائد*، ج٨، ص٢٥٥.

٢. *صحيح مسلم*، ج٧، ص٥٩؛ *سنن الترمذي*، ج٥، ص٢٥٣.

٣. *منهاج السنّة*، ج٥، ص٥٩٥.

بقوله:«بل منهم من لا يوجب إلاّ الصلاة عليه دون آله كما هو معروف في مذهب الشافعي وأحمد، فعلى هذا لا تجب الصلاة على آله».[1]

◆ **الجواب**

ادّعاؤه أنّ جمهور الفقهاء لا يوجبون الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام ، ادّعاء باطل لا وجه له؛ حيث إنّ مذهب الشافعي وأحمد وبعض المالكية الوجوب. ومن أقوالهم:

قال ابن قدامة المقدسي الحنبلي في المغني:

مسألة: قال: ويتشهد بالتشهد الأوّل ويصلّي على النبي صلى الله عليه وآله فيقول : اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمد؛ كما صلّيت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وبارك على محمّد وعلى آل محمد؛ كما باركت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد. وجملته أنّه إذا جلس في آخر صلاته، فإنّه يتشهد بالتشهد الذي ذكرناه ثمّ يصلي على النبي صلى الله عليه وآله كما ذكر الخرقي، وهي واجبة في صحيح المذهب (يعني المذهب الحنبلي، وهو مذهب ابن تيمية في الظاهر) وهو قول الشافعي وإسحاق ... ،وظاهر مذهب أحمد وجوبه فإنّ أبا زرعة الدمشقي نقل عن أحمد أنّه قال: كنت أتهيب ذلك ثم تبينت فإذا الصلاة واجبة فظاهر هذا أنّه رجع عن قوله الأوّل إلى هذا.[2]

---

١. *منهاج السنّة*، ج٥، ص٥٩٨.

٢. *المغني*، ج١، ص٥٨٠.

قال ابن‌مفلح الحنبلي تلميذ ابن‌تيمية في *المبدع*:

والصلاة على النبي ﷺ في رواية اختارها الخرقي وفي *المغني* وهي ظاهر المذهب وصححّها في الشرح وجزم بها في *الوجيز* لقوله تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا**﴾[1] والأمر للوجوب. ولا موضع تجب فيه الصلاة أولى من الصلاة المفروضة، وعنه: ركن قدمها في المحرر والفروع وصححّها في المذهب والوسيلة. وذكر ابن‌هبيرة أنّها المشهورة وأنّها اختيار الأكثر لحديث كعب. وعنه: سنة قال المروزي لأبي عبد الله: إن ابن راهويه يقول لو أنّ رجلاً ترك الصلاة على النبي ﷺ في التشهد بطلت صلاته، فقال: ما اجترئ أن أقول مثل هذا. وفي رواية: هذا شذوذ.[2]

وفي *الإنصاف* للمرداوي الحنبلي:

قوله: «والصلاة على النبي ﷺ في موضعها»؛ يعني أنها واجبة في التشهد الأخير وهو إحدى الروايات عن الإمام أحمد جزم به في *العمدة* و *الهادي* و *الوجيز* واختارها الخرقي والمجد في *شرحه* وابن عبدوس في *تذكرته* وصححها في *النظم* و *الحاوي الكبير*. قال في *المغني*: هذا ظاهر المذهب وقدمه في *الفائق*. وعنه أنها ركن وهي المذهب وعليه أكثر الأصحاب.[3]

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

٢. *المبدع شرح المقنع*، ج١، ص٤٩٧؛ *سبل السلام*، ج١، ص١٩٣

٣. *الانصاف*، ج٢، ص١١٦.

قال ابن‌كثير تلميذ ابن‌تيمية ـ شافعي المذهب ـ في تفسيره:

فإنّا قد روينا وجوب ذلك والامر بالصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن‌مسعود وأبو مسعود البدري وجابربن عبد الله ومن التابعين الشعبي وأبوجعفر الباقر ومقاتل بن حيان وإليه ذهب الشافعي لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضا وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي به وبه قال إسحاق بن راهويه والفقيه الإمام محمّد بن إبراهيم المعروف بابن المواز المالكي (رحمهم الله تعالى) حتّى إنّ بعض أئمة الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه ﷺ كما علمهم أن يقولوا لما سألوه وحتّى إنّ بعض أصحابنا أوجب الصلاة على آله وممّن حكاه البندنيجي وسليم الرازي وصاحبه نصر بن إبراهيم المقدسي ونقله إمام الحرمين وصاحبه الغزالي قولا عن الشافعي والصحيح أنّه وجه على أنّ الجمهور على خلافه وحكوا الإجماع على خلافه وللقول بوجوبه ظواهر الحديث والله أعلم والغرض أنّ الشافعي (رحمه الله) يقول بوجوب الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة سلفاً وخلفاً كما تقدّم ولله الحمد والمنة فلا إجماع على خلافه في هذه المسألة لا قديماً ولا حديثاً والله أعلم.[1]

١. تفسير ابن كثير، ج٣، ص٥٠٩.

◆ **الشكوى إليه ﷺ**

قال ابن تيمية في *منهاجه* ردّاً على العلامة الحلّي رحمه الله :

وكذلك ما ذكره من حلفها أنّها لا تكلمه ولا صاحبه حتّى تلقى أباها وتشتكي إليه أمر لا يليق أن يذكر عن فاطمة رضي الله عنها . فإنّ الشكوى إليه أمر لا يليق أن يذكر عن فاطمة رضي الله عنها ،فإنّ الشكوى إنّما تكون إلى الله تعالى، كما قال العبد الصالح: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وفي دعاء موسى عليه السلام : اللّهمّ لك التكلان ،وقال النبي ﷺ لابن عباس: إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، ولم يقل سلني ولا استعن بي، وقد قال تعالى: ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب**﴾.[1]

◆ **الجواب**

إنّ منعه من الشكاية إلى النبي ﷺ أمر عجيب؛ لأنّ هذا ممّا لا ينكره أحد؛ فإنّ الأمّة وأصحاب النبي ﷺ اشتكوا إليه شتّى أنواع الشكايا، فمنهم من شكا الفقر والفاقة وقلة المطر وغير ذلك ممّا هو متعارف عليه بين جميع الناس.

وأمّا استدلاله بالقرآن الكريم، فالصحابة يعلمون أنّ الشكوى لرسول الله ﷺ هي شكوى لله عز وجل وهي من قبيل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾.[2]

---

١. *منهاج السنة*، ج٤، ص٢٤٤.

٢. سورة الفتح، الآية ١٠.

ومنها شكاية عمر بن الخطاب للنبي ﷺ فقد ذكر ابن كثير في تفسيره:

أن عمر بن الخطاب بعدما نام ووجب عليه الصوم وقع على أهله ثمّ جاء إلى النبي ﷺ فقال: أشكوا إلى الله وإليك الذي صنعت. قال: وما صنعت ؟ قال إنّي سولت لي نفسي فوقعت على أهلي بعدما نمت وأنا أريد الصوم. فزعموا أنّ النبي ﷺ قال: ما كنت خليقاً أن تفعل. فنزل الكتاب (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم.[1]

وأخرج إسحاق بن راهويه عن خويلة بنت ثعلبة قالت :

ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه ورسول الله ﷺ يجادلني فيه ، ويقول : «اتقي الله، فإنّما هو ابن عمّك » فما برحت حتّى أنزل القرآن ﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا**﴾ إلى العرض. فقال رسول الله ﷺ : تعتق رقبة ....[2]

فليس معنى ﴿**وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ**﴾ أنّها لا تشتكي إلى رسول الله ﷺ ، ممّا يظهر بوضوح خطأ ابن تيمية ومجانبته الصواب في تفسير الآية.

١. *تفسير ابن كثير*، ج١، ص٢٢٦.

٢. *مسند ابن راهويه*، ج٥، ص١٠٣.

الخاتمة

لقد اتضح من خلال البحث مدى سطحية ابن‌تيمية وأتباعه في إصدار الأحكام والتسرّع المفرط الذي ينتهجه بمجرّد أنّ هناك بعض الأفكار التي تختلج في نفسه تأبى ما ثبت من كتاب الله والسنّة الشريفة وما تلقاه العلماء بالقبول والتسليم، كما ثبت في البحث من بطلان انتقادات الوهّابية لروايات فضائل النبي صلى الله عليه وآله في الجانب المعرفي والشخصي والغيبي. ومن هنا يظهر مدى الانحراف عن جادة الصواب إذا ما حكّم الإنسان ميوله الذاتيّة بعيداً عن الحقائق والعقل السليم فيسوق الأدلّة إليه سوقاً قسريّاً فتكون تابعة لا متبوعة، فرأينا أن ابن تيمية وبعض تلامذته قد حاولوا جاهدين وبكلّ ما أوتوا من قوّة نفي الكثير من فضائل النبي صلى الله عليه وآله ونقدها بشدّة، بحجّة أنّها شرك وكذب وكفر وما شابه ذلك، ورأينا أنّهم قد أصدروا فتاواهم وآراءهم بعيداً عن ملاحظة البراهين والأدلّة الصحيحة حتّى أنّهم أرادوا إظهار النبي صلى الله عليه وآله بلا فضائل ولا مزايا وهبها الله تعالى إليه، ونصوصهم وتعبيراتهم خير برهان على شدّة جموحهم وعنادهم وكأنّهم في شجار مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام! وأشدّ عجباً من ذلك أنهم يدعون المسلمين إلى اتباع ما ذهبوا إليه بحجّة العودة إلى السلف الصالح وهو منهم براء! فلا يخفى على المتتبّع ما دأب عليه المسلمون قديماً وحديثاً من إثبات فضائل ومزايا النبي صلى الله عليه وآله واحترامه في أهل بيته عليهم السلام ممّا نطق به الكتاب والسنّة الشريفة، وهذا لعمري أقلّ ما يمكن أن يقوم به المسلمون تجاه نبيّهم العظيم كأجر معنوي في تبليغه الرسالة وما عاناه من أقسى الأمور وأصعبها في هذا الطريق، فما أوذي نبيّ كما أوذي صلى الله عليه وآله. فعلى جميع المسلمين تحرّي الحذر والحيطة من هؤلاء ومجابهتهم بالأدلّة الساطعة والبراهين الواضحة، نسأل الله تعالى الثبات على الطريق المستقيم، إنّه مجيب الدعاء.

◆ المصادر

* القرآن الكريم.

١. *الآحاد والمثاني*: ابن أبي عاصم، رياض: دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١١ ق.

٢. *أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله وأهل بيته*: محمود السيد صبيح، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الركن و المقام، ١٤٢٣ ق.

٣. *اقتضاء الصراط المستقيم*: ابن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الثانية، ١٣٦٩ ق .

٤. *الانصاف*: المرداوي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ ق.

٥. *تاريخ مدينة دمشق*: ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، بيروت ـ لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ق.

٦. *تخريج الآثار و الآثار الواقعة في الكشاف للزمخشري*: جمال الدين الزيعلى، تحقيق: علي عمر احمد مادحدح، مكه.

٧. *تفسير ابن كثير*: ابن كثير، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢ ق.

٨. *تفسير الآلوسي* (روح المعاني): سيد محمود الآلوسي.

٩. *تفسير البيضاوي* (أنوار التنزيل): البيضاوي، بيروت ـ لبنان: دار الفكر.

١٠. *تفسير الثعلبي*: الثعلبي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ ق.

١١. *تفسير الجلالين*: المحلي وجلال الدين السيوطي، بيروت ـ لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢. *تفسير الرازي* (مفاتيح الغيب): فخر الدين الرازي، بيروت: دارالفكر، الطبعة الثالثة.

١٣. *تفسير القرطبي* (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي، قاهرة: دار الشعب.

١٤. *جامع البيان*: ابن جرير الطبري، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ ق.

١٥. *الجامع الصغير*: جلال الدين السيوطي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠١ ق.

١٦. *دلائل النبوة*: إسماعيل الأصبهاني، تحقيق: أبو عبدالرحمن مساعد بن سليمان الراشد الحميد، رياض: دار

العاصمة للنشر والتوزيع.

١٧. *الذرية الطاهرة النبوية*: محمد بن أحمد الدولابي، الكويت: الدار السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ق.

١٨. *زاد المسير في علم التفسير*: ابن الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ ق.

١٩. *سبل السلام*: محمدبن اسماعيل الكحلاني، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الرابعة، ١٣٧٩ ق.

٢٠. *سنن الترمذي*: الترمذي، تحقيق و صحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، بيروت ـ لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ ق.

٢١. *السنن الكبرى*: البيهقي، بيروت ـ لبنان: دار الفكر.

٢٢. *السنن الكبرى*: النسائي، بيروت ـ لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١ ق.

٢٣. *سير أعلام النبلاء*: الذهبي، بيروت ـ لبنان: مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٤١٣ق.

٢٤. *شفاء العليل*: ابن القيم، بيروت: دار الفكر.

٢٥. *صحيح ابن حبان*: ابن حبان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ ق.

٢٦. *صحيح مسلم*: مسلم النيسابوري، بيروت ـ لبنان: دار الفكر.

٢٧. *الصواعق المرسلة*: ابن قيم الجوزية، الرياض: دار العاصمة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ ق.

٢٨. *الفتاوى الكبرى*: ابن تيمية، بيروت: دار المعرفة.

٢٩. *فضائل الصحابة*: النسائي، بيروت ـ لبنان: دار الكتب العلمية.

٣٠. *الكشاف عن حقائق التنزيل*: الزمخشري، مصر: شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٨٥ق.

٣١. *المبدع شرح المقنع*: ابن مفلح، بيروت: المكتب الإسلامي.

٣٢. *المبسوط*: شمس الدين السرخسي، لبنان: دارالمعرفة.

٣٣. *مجمع الزوائد*: الهيثمي، بيروت ـ لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ ق.

٣٤. *مجموع الفتاوى*: ابن تيمية، مكتبة المنصورة.

٣٥. *المستدرك*: الحاكم النيسابوري، بيروت ـ لبنان: دار المعرفة.

٣٦. *مسند ابن راهويه*: اسحاق بن راهويه، المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، ١٤١٢ق.

٣٧. *مسند ابن حنبل*: أحمد بن حنبل، بيروت ـ لبنان: دار صادر.

٣٨. *معاني القرآن*: النحاس، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ١٤٠٩ق .

٣٩. *المعجم الكبير*: الطبراني، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ق.

٤٠. *المعيار والموازنة*: أبو جعفر الاسكافي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ ق.

٤١. *المغني* : ابن قدامة، بيروت ـ لبنان: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

٤٢. *منهاج السنة النبوية*: ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ق.

٤٣. *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى*: ابن قيم الجوزية، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

٤٤. *وفيات الأعيان*: ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، لبنان: دار الثقافة.